

ما يهدم كيانه أو يمس جلالها ، ولكن من المستغرب أن يروي الزمخشري الواقعة وينقلها عنه النسفي وأبو حيان وغيرهما ، ولا يتعرض واحد منهم إلى توهينها ووصمها بالافتعال إلى أن يجئ في العصر الحاضر الألويسي ويجزم أنها مختلقة ، فمن الإنصاف التسليم بها ، وليس أول نازلة من نوعها فأمثالها معروفة - وفي هذه الحادثة عبرة خاصة ، هي: أن في تحدي النعمان قتادة ، عند تصديه للإفادة ، بالسؤال عن النملة ، وهي ما هي؟ في الضالة والصغر ، ما ينبه المتصدي للتعليم أنه معرض لسهام مريشة ، مهما أوتي علماً وفقهاً ، وحذق المعرفة دراية ورواية . نسوق هذا تفضيلاً لما يجري على سنة الاقتراح وترك الاستفهام للسائلين كما يشاءون ، وإن رجت بنا الأقدار للوقوع فيه ، فنعود لموضوعنا .

لا ريب أنه إذا رافق المدرس التوفيق كان ذلك له غرس العام المقبل جميعه ، فليس له هيمنة على طلابه إلا من هذا السبيل الروحي الذي يثمر في نفوسهم حسن اعتقادهم فيه طوالة ، فينتفعون بما يلقيه عليهم بعد ، ويحرصون على الاستفادة منه ، ويعملون بإرشاداته في العلم والخلق .

في الدرس الأول تقدم طالب بالسؤال عن تمثيل النحاة بلقب " عائد الكلب " وإن بدا في طيِّ - هذا الاستفهام شيء من السخرية اللادعة بالنحاة ، لشيعانه في كتبهم مع نبوه عن ذوقه حسب استساغته ، فلم أجد بداً من الإجابة عنه ، ليتبين له أنه على غير ما خال ، وقدرت في نفسي أن القول فيه ربما استنفد الوقت المقدر للمحاضرة ، وفيه من العربية غناء ، فليس أجنبياً مما هم مكلفون به .

1 - عائد الكلب:

هذا لقب أطلق على صاحبه لا يتجاوزه ، لأن اللقب أحد أنواع العلم الثلاثة ، ولا تظنوا في هذا اللقب شيئاً ولا ذاماً ، بل إنه في مغزاه عنوان الإخلاص في التواد لمن يعاشرهم ويصطفى مخالطهم ، فصاحبه: عبد الله بن مصعب الزبيري صادق جماعة خالهم أوفياء له ، كان يفرح لأفراحهم ، ويواسيهم في أحزانهم ، حتى إذا اعتل كلبهم عادته وابتأس لا بتئاسهم . فما بالهم يعرضون عنه في مرضه ، حتى ازداد ترحه